بسم الله الرحمن الرحيم

التأويل والتسليم عند السلف والخلف

الحمد لله هادي السبيل، والصلاة والسلام على داحض الأباطيل محمدٍ المؤيد بالبرهان والدليل وعلى آله وصحبه الحاملين لراية التنزيل والمفسرين لذلك تارة بالتسليم وتارة بالتأويل.

أما بعد،،،

فاعلم رحمك الله أنه قد ظهرت فرقة منذ مدة ليست بقصيرة، وذاع صيتها حديثاً بسبب بُعد الناس عن العلم الصحيح الذي هو مذهب الأئمة الأعلام مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة النعمان رضي الله عنهم، فَوَجَدَت هذه الطائفة آذاناً صاغيةً عند كثير من عوام الناس، فشوَّشوا عليهم في الأصول والفروع، ومن ذلك اعتقاد الجسمية والتشبيه في الأصول وحرمة زيارة القبور لاسيما قبرَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وما سوى ذلك من الفروع، آخذين بظاهر النصوص من غير تسليم ولا تأويل، ويزعمون أن ذلك مذهب الإمام أحمد، والحق أنهم في وادٍ والإمام أحمد في وادٍ لِمَا سنبيِّنُه لاحقاً، ويقولون هذا هو مذهب السلف، والتأويل مذهب الخلف، ومذهب السلف هو الأصحُّ وليس كما زعموا، بل التسليم والتأويل كلاهما مذهب السلف والخلف سواء، إذ المدار في صحة ثبوت الأشياء وعدمها يتوقف على ثبوت البرهان والدليل الصريح ولو لمرَّةٍ واحدة، ولولا ذلك لصحت دعوى كلِّ مدعي وعندها لا يعرف الحق من الباطل وتلتبس الأمور على العلماء والعوام قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾(البقرة: من الآية111).

يقول علماء الأصول: المدار في ثبوت الأشياء وعدمها على إقامة الدليل في أصل المسألة ولو مرةً واحدةً من غير تكرار، وسنكتفي بهذه المسألة في نقل تأويلات ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما لقولِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: « اللهم علِّمهُ الحكمةَ وتأويلَ الكتاب »(رواه البخاري وابن ماجه وغيرهما بروايات مختلفة)، مع العلمِ أنَّ أكثر الصحابة عباراتهم

صريحة في التأويل كأبي بكر الصديق وعليٍّ رضي الله عنهما، وتبعهم على ذلك أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم، ونخصُّ في هذه الرسالة النقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه؛ لأن أكثر المشبهة يزعمون الانتماء إليه في هذه المسألة وغيرها وهو منهم براء، فنقول: قد أوَّلَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾(القلم: من الآية42)، فقال: "يكشفُ عن شدَّة"، فأوَّل الساق بالشدة، ذكر ذلك الحافظ ابنُ حجر في (فتح الباري)، والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره، وأوَّل ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات:47)، قال: "بقوة" كما في تفسير الحافظ ابن جرير الطبري، ونقلها ابن جرير أيضاً عن مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان، وأوَّل أيضاً النسيان الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾(الأعراف: من الآية51)، "بالترك" كما في تفسير الحافظ ابن جرير الطبري، ونقل الحافظ الطبري هذا التأويل الصارف عن الظاهر بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد وغيرهم، وابنُ عباسٍ صحابيٌّ ومجاهد تابعي، وابن جرير من أئمة السلف الصالحين، وقد نقل البيهقيُّ في كتاب (المناقب) للإمام أحمد أنه أوَّل قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾(الفجر:22)، أي "جاء ثوابه"، وروى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: "احتجُّوا عليَّ يوم المناظرة فقالوا: ﴿ تجيء يوم القيامة سورة البقرة ... ﴾ الحديث، قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب"، فتأمل هذا التأويل الصريح من الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه، وأوَّلَ البخاري قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ ﴾(القصص: من الآية88)، قال: "ملكه" كما في كتاب التفسير في صحيحه، ولهذا لا يجوز ولا يصحُّ نسبة التسليم دون التأويل للسلف، نعم لقد غلب عليهم التسليم مع أنهم أوَّلوا، وهو ما قاله الشافعي رضي الله عنه: "آمنا بما جاء من عند الله ورسوله على مراد الله ورسوله"، وقال أحمد رضي الله عنه: "مُرُوها كما جاءت" أي على وفق ما أخبر وعلى الوجه الذي أراد، مع الإقرار أن الذي غلب على

الخلف التأويل بما يليق بالتنزيه وموافقة اللغة العربية من غير تكلُّف؛ لأن هذه الطريقة أحكمُ لإقامة الحجة، وذلك لكثرة الفِرَق والفساد في العقيدة، والطريقة الأُولى أسلم لمن كانت عقيدته صحيحة، ولا يُستغني في هذا الزمان عن كلا الطريقتين؛ لأن الأُولى توجب تعلم الثانية، والثانية تعلِّمُ الحجة، والقاعدة تقول: "من حفظ حجة على من لم يحفظ".

وبناءً على ما تقرر فلا يصح أن ينسب القول الأول إلى السلف فقط والثاني إلى الخلف، بل كلا الطريقتين للسلف والخلف معاً، إنما الذي اشتهر على ألسنة السلف التسليم فنسب إليهم، والذي اشتهر على ألسنة الخلف التأويل فنسب إليهم، وكلا الطبقتين من السلف والخلف أوَّلوا وسلَّموا ولكن بتفاوت وعلى وفق ما فصلناه والله ورسوله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

حرره خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام

الحسيني المالكي الفلسطيني كان الله له ولوالديه

ولكل من كان له فضل عليه بمنه

وكرمه آمين آمين آمين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم

13 شوال 1428هجري الموافق 24 أكتوبر 2007 رومي